الحرب وخيار الحسم العسكري

وسام ابو شمالة
كاتب ومحلل سياسي

يثير فشل جولات التفاوض غير المباشر بين المقاومة في فلسطين ولبنان مع الكيان الصهيوني لوقف إطلاق النار تساؤلاً حول الانعكاسات على تطور الصراع بعد ارتفاع مستوى التوتر على الجبهة اللبنانية، وتمسك المقاومتين اللبنانية والفلسطينية بمواقفهما تجاه الحرب، ولا سيما الربط بين الجبهتين، وفي ضوء الخطاب الأخير للسيد حسن نصر الله الذي رفع مستوى التهديد والجاهزية للمواجهة الشاملة، وفي أعقاب الفيديو الاستخباراتي والنفسي لمسيرة الهدهد، وتصريحات قيادة المقاومة الفلسطينة التي أكدت التمسك بشروطها ومواصلة المقاومة على الأرض التي كبّدت الجيش الصهيوني خسائر بشرية ومادية لافتة بعد نحو ٨ أشهر من الحرب.

فهل تتجه الحرب لرفع مستوى المواجهة حتى الوصول إلى الحرب الواسعة أم أن الخشية من تداعيات الحرب وانعكاساتها والكلفة البشرية والمادية المرتفعة، إضافة إلى التدخلات الدولية، ستدفع أطراف الصراع إلى القبول بحلول وسط وأطروحات التسوية قبل الانفجار الكبير؟

إن المخاوف التي رسختها ملحمة طوفان الأقصى في الوعي الإسرائيلي لم تنجح الحرب التدميرية على غزة في محوها أو حتى التخفيف منها، بل أدى الفشل، من جهة، في حسم المعركة مع جبهة واحدة إلى زيادة المخاوف من فشل أكبر في حال توسّعت الحرب إلى جبهات متعددة، ومن جهة أخرى، ارتفعت أصوات تعتقد أن وجود الكيان الموقت معرض للخطر في حال لم تحسم المعركة مع المقاومتين الفلسطينية واللبنانية، وأن عليها أن تمضي في حربها حتى النهاية، ويحظى ذاك التوجه بتأييد واسع في أوساط اليمين الصهيوني ولو بثمن التضحية بالأسرى في غزة، بيد أن اتجاهات صهيونية على مستوى الجمهور وفي أوساط نخبوية وقادة سياسيين وعسكريين تعتقد أن الحسم ضروري بعد استعادة الأسرى واختيار موعد مناسب ومباغت تفاجئ فيه "إسرائيل" أعداءها، ولا سيما على الجبهة اللبنانية، كما أن أحد السيناريوهات التي طرحت في بداية الحرب هو توجيه ضربة استباقية إلى المقاومة اللبنانية، وهو ما تبناه وزير الأمن الصهيوني يوآف غالانت وعارضه بيني غانتس وغادي أيزنكوت عضوا مجلس الحرب المستقيلان، ويبدو أن بيبي نتنياهو لم يكن متحمساً له.

من يتبنى خيار المواجهة الشاملة في "إسرائيل" يتبنى نظرية الحسم العسكري للصراع، وأن المرحلة مواتية للحسم على الجبهات كافة، الأمر الذي يستدعي عدم توقف الحرب على غزة حتى تحسم المقاومة نهائياً، من حيث القدرة العسكرية والمدنية والحكومية واستعادة الأسرى وتغيير الواقع الأمني في غزة، وفي الشمال أيضاً، حتى يتم "إخضاع" قدرة المقاومة اللبنانية واحتلال المنطقة الأمنية في الشمال.

هل تتجه الحرب لرفع مستوى المواجهة حتى الوصول إلى الحرب الواسعة أم أن الخشية من تداعيات الحرب وانعكاساتها والكلفة المرتفعة، ستدفع أطراف الصراع إلى القبول بحلول وسط وأطروحات التسوية قبل الانفجار الكبير؟

وبحسب رؤية من يتبنى خيار الحسم العسكري الشامل، يجب الانتقال في أسرع وقت ممكن إلى الجبهة الشمالية، لأنها باتت تشكل تهديداً وجودياً لـ"إسرائيل"، ما يستدعي القيام بمناورة برية يتم من خلالها تدمير البنى التحتية للمقاومة اللبنانية، وللبنان أيضاً.

ويعتقد أصحاب هذا التوجه أن لا سبيل إلا الحسم العسكري حتى يتم إعادة هيبة الردع الذي انمسح كلياً في السابع من أكتوبر، مهما كلف "إسرائيل" من ثمن، فالحرب لها ثمن لا بد من دفعه، ولا يوجد بديل من النصر في هذه الحرب، بحسب من يدعو إلى خيار الحسم.

نتيجة صدمة السابع من أكتوبر، فإن غالبية الجمهور الإسرائيلي تؤيد شن حرب واسعة على لبنان، حتى لا يتكرر مشهد طوفان الأقصى في شمال فلسطين المحتلة، ولا سيما أن المستوطنين في الشمال يرفضون العودة إلى المستوطنات في حال أعلن تسوية مع لبنان ولم تحسم المعركة عسكرياً، كما أن أوساط اليمين المتطرف تتساوق مع فتح مواجهة عسكرية واسعة على الجبهة اللبنانيه، إلا أن موقف بيبي نتنياهو يبدو أكثر تردداً ولم يحسمه بعد، فهو من جهة يسعى لإطالة أمد الحرب، حتى يحافظ على بقائه السياسي، ويطمح إلى خطف صورة انتصار افتقدها في غزة، ويوثق تحالفه وائتلافه الحكومي مع غلاة اليمين المتطرف، ومن جهة أخرى يخشى من نتائج الحرب وتوسعها وانضمام إيران وجهات وكيانات إقليمية وإسلامية إليها، ما سيعرض "إسرائيل" لمخاطر غير مسبوقة ستهدد مصيرها.

إن ملحمة طوفان الأقصى أدخلت المنطقة في حالة انعدام يقين، وربما تجهل كل الأطراف مآلات المواجهة القائمة وتداعياتها، بيد أن التوجهات الأيديولوجية والرؤى القائمة على أن الحل في حسم الصراع لا في تسويته تجعل معادلة معادلة الصراع أقرب إلى أن تصبح صفرية، وأن المواجهة الشاملة لا مناص منها.

التهديد الصهيوني للبنان وعقيدة «ادّعاء الجنون»

ليلى نقولا
كاتبة ومحللة سياسية

في خضم التهديدات الصهيونية المتزايدة للبنان، يخرج محللون وسياسيون يحذّرون من مغبة إثارة "جنون الإسرائيلي"، ويبدي كثيرون قلقهم مما يسمونه عدم قدرة إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، على الاستمرار في ضبط "ردة الفعل الإسرائيلية" تجاه الهجمات المتزايدة لحزب الله، وفي ضبط "جنون نتنياهو".

وكان عدد من الإعلاميين والسياسيين في الغرب قام، في وقت سابق، بتبرير ردة الفعل الإسرائيلية الانتقامية، والتي وصلت إلى حد ارتكاب الإبادة في غزة، وادّعى هؤلاء أن "الإسرائيليين أُصيبوا بالجنون مما حدث لهم من صدمة في السابع من تشرين الأول/أكتوبر"، وأن هذا الجنون تجلّى في القصف التدميري غير المسبوق لقطاع غزة وللمدنيين والمستشفيات وسوى ذلك.

واقعياً، هذه التبريرات الغربية بشأن الإصابة الإسرائيلية بـ"الجنون" ليست جديدة، وتمّ استخدامها في معظم الحروب الإسرائيلية على قطاع غزة، لأنها في الواقع هي عقيدة صهيونية يتم استخدامها إسرائيلياً منذ خمسينيات القرن العشرين، لتبرير الفظائع التي يتم ارتكابها بحق الفلسطينيين والعرب، والتي لا تتسم بالتناسب مع الخطر الفعلي، الذي يشكّله هؤلاء للأمن الصهيوني.

عقيدة "ادعاء الجنون"

على مدى عقود، طوّر الإسرائيليون، بصورة كبيرة، ما يسمى عقيدة "ادّعاء الجنون"، وهي سياسة ابتدعها الجنرال الإسرائيلي السابق ووزير الأمن، موشيه ديان، ذات يوم، حين قال إنه "يجب أن يُنظَر إلى "إسرائيل" على أنها كلب مسعور، وأنها خطيرة للغاية، بحيث لا يتجرأ أحد على إزعاجها".

وسرعان ما اعتنق الإسرائيليون سياسة الادعاء أو الإصابة بالجنون، بعد أن تبيّن أن التظاهر بـ "عدم العقلانية/الجنون" يعطي الإسرائيلي فوائد عسكرية ونفسية، بحيث يخلق الرهبة في نفوس الأعداء.

ويقول نعوم تشومسكي، في مقال له بشأن هذه العقيدة، إن "هذا التهديد بـ "الجنون" (أو "nishtagea")"، أي قيام الإسرائيليين برد فعلٍ صادم عنيف، هو مبدأ متجذر بعمق في الفكر الصهيوني، ويعود إلى حكومات حزب العمال في الخمسينيات، جنباً إلى جنب مع "عقدة شمشون" ذات الصلة، والتي تفيد: "إذا حاول أحد تجاوزنا فسوف نهدم الهيكل على مَن فيه".

ويقول تشومسكي إن عقيدة "الإصابة بالجنون" تهدف فعلياً إلى إنزال أشدّ الألم بالمدنيين، لأنّ الإسرائيليين "يتبنّون ضمناً المنظور التقليدي للذين يحتكرون عملياً وسائل العنف: يمكن لقبضتنا المدرّعة أن تسحق أيّ معارضة، وإذا سقط نتيجة هجومنا المسعور كثير من الضحايا المدنيين فيكون ذلك أفضل، لأنه بذلك يتمّ تلقين من بقي درساً ملائماً".

وفي كتاب "غزة في أزمة"، الذي كتبه المفكران اليهوديان المعاديان للصهيونية، نعوم تشومسكي وإيلان بابي، عام ٢٠١٠، يكتب بابي أن "إلحاق الألم بالمدنيين هو مبدأ سياسي قديم للإرهاب الحكومي الإسرائيلي، بل إنه المبدأ التوجيهي لهذا السلوك".

وفي تحليل الحربين الإسرائيليتين على قطاع غزة في عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، والقتل والدمار المتعمدَين والمنهجيَّين، واللذين قامت بهما "إسرائيل" خلالهما عبر استهدافها المدنيين عمداً، يقول بابي "لقد عدّت إسرائيل أن من المفيد أن تظهر كأنها "مجنونة"، الأمر الذي يتسبب بإرهاب غير متلائم إلى حد كبير". واستشهد بابي بالمحلل العسكري زئيف شيف، الذي قال "لقد كان الجيش الإسرائيلي يضرب السكان المدنيين دائماً، عمداً وبوعي".

يرسل حزب الله رسالة إلى الإسرائيليين، مفادها أن الصراخ والتهديدات لا تخيف اللبنانيين، ولا يتعاملون معها بخوف

حزب الله لا يخشى الجنون

في التطبيق العملي، يمكن النظر إلى الحروب الإسرائيلية مع لبنان وقطاع غزة لنجد أن الإسرائيلي لطالما طبّق تلك السياسة، وحتى قبل ذلك، أي خلال فترة العصابات اليهودية، بحيث استخدم قادة هذه العصابات المجازر والفظائع سياسةً منهجية لترهيب الفلسطينيين في القرى، والذين فرّوا من الجحيم القادم إليهم بعد حدوث فظائع يندى لها الجبين.

ويكتب المحلل العسكري الإسرائيلي، يوروم بيري، مشمئزاً من تلك السياسات، قائلاً إن مهمة الجيش الإسرائيلي، على ما يبدو، لم تكن الدفاع عن "إسرائيل"، بل "هدم حقوق الأبرياء لمجرد أنهم عربوشيم (لقب عنصري قاسٍ) يعيشون في الأراضي التي وعدنا الله بها".

وبقيامه بالتصعيد المتدرج في جبهة لبنان الجنوبية، واستمراره في إطلاق الصواريخ والمسيّرات على الرغم من كل التهديدات الإسرائيلية المتصاعدة، يرسل حزب الله رسالة إلى الإسرائيليين، مفادها أن الصراخ والتهديدات لا تخيف اللبنانيين، ولا يتعاملون معها بخوف، وإن حدث وأُصيب الإسرائيليون بالجنون أو ادّعوا ذلك، فإن لبنان مستعد لحفلة الجنون الإسرائيلية، وأعدّ العدّة الملائمة لمواجهة هذا الجنون، وإن "الكلب المسعور"، الذي يستخدمه الإسرائيلي للتخويف، لم يعد يُخيف أحداً.

التحليل الإخباري

الجليل ضمن حسابات الحرب!

خليل نصر الله
كاتب ومحلل سياسي

عندما توجه الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله قبل ما يزيد عن عقد من الزمن لمقاتلي المقاومة الإسلامية، قال لهم ما حرفيته: استعدوا اليوم، إذا فرضت فيه الحرب على لبنان، قد تطلب منكم قيادة المقاومة السيطرة على الجليل. يومها لم يتحدث السيد نصر الله عن اقتحام مفاجئ، وهو في أصل الإعلان أسقط عنصر المفاجأة، وفي مضمون تقديمه لخطة الجليل تحدث عن السيطرة خلال الحرب، وهو ما يعني الاستعداد لعملية توغل داخل الأراضي المحتلة في ظل اشتعال الجبهة.

منذ السابع من تشرين الأول / اكتوبر ٢٠٢٣، ومع مشهد العبور من قطاع غزّة اتّجاه مستوطنات الغلاف، حضر مشهد الجليل لدى الإسرائيليين. سريعًا أجروا عملية إخلاء للمستوطنات الحدودية ونفذوا تموضعات عسكرية وفق خطط تدربوا عليها مسبقًا، لصد هجوم مفترض لمقاتلي حزب الله أو الحد من اندفاعته، وهو أمر كانت تراقبه المقاومة، ولا زالت، عن كثب. في تلك الأيام، لم يكن في اعتبار المقاومة تنفيذ خطط العبور، هي أصلًا لم تعلن حربًا، بل كان مبدأ فتح الجبهة إسنادًا لغزّة. قتال حزب الله، بدوره، أخذ طابعًا جديدًا مختلفًا عن أي قتال في الماضي، وما وضع من أهداف له تحقق معظمها. من هنا، يمكن الاستنتاج أنه لم تكن هناك حاجة لتنفيذ حتّى عمليات تسلل، أو اقتحام مواقع حدودية، مع وجود القدرة على تنفيذ ذلك.

بالعودة إلى خطة اقتحام الجليل، أو العبور نحو الجليل. صراحة، ما زالت المقاومة تحتفظ بأسرار ما أعدّته على مدى سنوات، وهو لم يسقط من حساباتها، فهي أعدّت خططًا قد توضع على الطاولة في حالة الحرب، أي في أصعب الظروف القتالية.

رغم ما أبرزه جيش الاحتلال الصهيوني، من قدرات استخبارية، واستطلاع جوي، وتكنولوجيا متطورة، وما تقدمه واشنطن من معونة استخبارية واستكشافية وتوفير أقمار صناعية لمساعدة جيش الاحتلال، فإن احتمال الدخول إلى الجليل لم يسقط، ولعل ما أعلنه السيد نصر الله أمس لم يكن مجرد إشارة بقدر ما هو تمريرة، كي لا يبني العدوّ حسابات وفق المعركة الحالية ويظن أنه حقق هدف منع الدخول إلى الجليل.

بوضوح قالها السيد نصر الله عندما تطرّق إلى بعض الإجراءات الإسرائيلية عند الخطوط الأمامية الخلفية للحدود: "إن اقتحام الجليل احتمال يبقى قائمًا في حال شن العدوّ أي حرب على لبنان".

ما قاله السيد نصر الله يتضمن الكثير من الإشارات حول الجهوزية، ووضع الخطط وملاءمتها مع القوّة الإسرائيلية الجوية بعدما اضطرّ العدوّ لكشف الأعم الأغلب من القدرات لديه.

إن ما أعلنه السيد سوف يؤثر على أي قرار إسرائيلي اتّجاه لبنان، تمامًا كما ستؤثر واقعة الهدهد وأمور أخرى يعلمها العدوّ ويفهمها.